والصناعية العراقية لم تدمّرها إلّا تلك القذائف والطائرات، وان القوات الاميركية لم تقم بالهجوم البرّي الّا بعد تحقيق ذلك التدمير. ولقد انتظرت القوات البرّية حتى حطّمت القذائف والطائرات تلك البنية العراقية قبل ان تبدأ هجومها. لقد أجّل القادة الاميركيون القيام بالهجوم البرّي حتى تحقيق التدمير للبنية الاساسية، وحتى اصبحوا موقنين من تحقيق القوات البرية للانتصار. ان المعركة لم تحسمها القوات البرية، ولكن حسمتها القذائف والطائرات.

ان ما خفّض عدد القذائف العراقية التي أصابت أهدافاً في اسرائيل لم يكن عرض الضفة الفلسطينية الذي لا يتجاوز، في بعض الأماكن، ثلاثين ميلاً، ولكن قذائف باتريوت المضادة للقذائف، ممّا يعني انه أمكن تجنيب اسرائيل المزيد من الاصابات بقذائف سكود ليس بلغة العمق الاقليمي، ولكن بلغة القذائف.

الحرب والهجرة وترك الممتلكات

ومن عِبَر حرب الخليج ان نشوب صراع اسرائيلي ـ عربي من شأنه ان يؤدي الى انخفاض عدد المهاجرين اليهود الى اسرائيل. لقد أدّت حرب الخليج الى انخفاض عدد المهاجرين من الاتحاد السوفياتي. وقد أقرّت بذلك أوساط مطلعة في الحكومة الاسرائيلية والوكالة اليهودية[٩]. ففي كانون الثاني (يناير) ١٩٩١، بلغ عدد المهاجرين حوالى ٦٠ في المئة بالمقارنة بعدد المهاجرين في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٩٠[١٠]. وممّا له صلة بانخفاض عدد المهاجرين الى اسرائيل مبارحة الكثيرين من الاسرائيليين لمنازلهم، جرّاء سقوط صواريخ سكود على أهداف في اسرائيل، وهو السقوط الذي أحدث صدمة نفسية قوية، والذي مسّ شعور الأمن البقائي لدى السكان الاسرائيليين. كتبت دانيئيله دينغل ـ هوفمان: «ان مَنْ ولد في هذا البلد رضع من حليب امه المعرفة بأن الأمر الذي لا يمكن ان تتحمّله اسرائيل هو اصابة منطقتها الخلفية المدنية. وممّا يدلّ على تصدّع الشعور بالأمن ظاهرة الفرار من تل ـ أبيب ومدن أخرى تعرّضت للقذائف»[١١].

لقد اتّضح، خلال تلك الحرب، ان الكثيرين من الاسرائيليين على استعداد لترك ممتلكاتهم، المنقولة وغير المنقولة، سعياً الى تجنّب تعريض حياتهم للخطر. لقد بارح عشرات الآلاف من الاشخاص منازلهم الواقعة في منطقة المدن الساحلية التي تعرّضت، وتوقّعوا ان تتعرّض، لاصابات القذائف الى مدن مثل القدس، ظنّوا انها لن تكون أهدافاً للقذائف العراقية[١٢].

ان الكثيرين من الاسرائيليين لم يعتبروا هذه المبارحة فراراً، أو هجراناً، أو تخلّياً. ويعني ذلك الاخلاء ان للمحافظة على الحياة أولوية على قيم أخرى، مثل الاعتبارات السياسية أو العقائدية. ان واقع العام ١٩٩١ هو ان الكثيرين من الاشخاص في اسرائيل تركوا، وهجروا، الممتلكات المنقولة أو غير المنقولة، من أجل تجنّب تعريض حياتهم للخطر. هذا التغيّر القيمي يمكنه ان يؤثر، في المستقبل، في موقف الاسرائيليين من مسألة إخلاء اسرائيل للاراضي المحتلة وللمستوطنات اليهودية فيها.

الصمود العراقي

من العِبَر التي ينبغي استخلاصها، أيضاً، صمود العراق لمدة ٤٢ يوماً من عمليات القذف والقصف الثقيلين الاميركيين. لقد شهدت تلك الفترة حوالى ١١٠ آلاف غارة جوية على أهداف عراقية. قليلة هي الشعوب والجيوش التي صمدت كما صمد الشعب والجيش العراقيان في وجه هجوم جوي ـ بري ـ بحري على قدر بالغ من الكثافة والشدّة، في حالة لم تتوفّر فيها لدى القوات المتعرِّضة